الأدب العربي، السنة الحادية عشرة، العدد الأوّل
ربيع و صيف ۱۳۹۸هـ.ش ـ ۲۰۱۹م

صورولوجيا شخصية بهاءالدولة البويهي في شعر الشريف الرضي

جعفر جعفرزاده
طالب الدكتوراه في اللغة العربية و آدابها بجامعة بوعلي سينا
زهرا أفضلي*
أستاذة مشاركة في اللغة العربية و آدابها بجامعة بوعلي سينا
فرامرز ميرزايي
أستاذ في اللغة العربية و آدابها بجامعة تربية مدرّس
هادي نظري منظم
أستاذ مساعد في اللغة العربية و آدابها بجامعة تربية مدرّس

صفحة: ۷۱-۹۱
تاريخ الإستلام:۱۳۹۶/۰۶/۲۶هـ.ش، تاريخ القبول:۱۳۹۷/۰۳/۲۱هـ.ش

الملخص

إنّ معرفة الآخر قد وفرّت الأرضية لنشوء علم جديد يُطلق عليه اسم علم الصورة أو الصورولوجيا. هذا العلم يعتبر فرعاً من فروع الأدب المقارن ويدرس صورة الأجنبي في النصوص الأدبية. إنّ صورة الأجنبي تتكوّن عن طريق تعرّف الأديب المسمّى بالأنا على الأجنبي المسمّى بالآخر، وتجري دراستها وفقاً للمبادئ التي وضعها الصورولوجيون؛ أهمها هي: حالات قراءة الآخر والأسباب المؤثّرة في تكوين الصورة، وبما أنّ دراسات الصورولوجيا تؤدّي إلى معرفة الشعوب والاطلاع على ثقافتها وحضارتها؛ لذلك لها أهمية خاصة بين البحوث الأدبية، ونظراً لهذه الأهمية قد تمت في المقالة الموجودة دراسة صورة بهاء الدولة ، الأمير الإيراني في شعر الشريف الرضي، الشاعر العراقي بغية إدراك كيفية تكوّن صورته. إنّ بهاء الدولة أمير من الأمراء البويهيين (أسرة إيرانية قد تسلّمت مقاليد الحكم في أقاليم من إيران و العراق في خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة) عاصر الشريف الرضي بهاء الدولة و اتصل به مباشرا في العراق لمدة أربع و عشرين سنة ؛ لذلک مثّل شخصيته في شعره.كما يتبيّن من نتائج الدراسة أنّ الشاعر قد تطرّق إلى رسم صورة الآخر في حين أنّ الصورة المرسومة ممتزجة بالتحيّز لقومه والتعصّب للأنا والتباهى بها، والسخط على الآخر وتحديته، مع هذا إنّه لم يتّجه إلى التشويه السلبي في قراءة الآخر، فصورته تقرب من الحقيقة في ديوانه وفق المصادر التاريخية، فضلا عن ذلک قد تأثر الشاعر في تكوين صورة الآخر بالأسباب الذاتية، والإجتماعية، والسياسية، والدينية، كإنتمائه الهاشمي، انعدام العدالة في توزيع الثروة، عدوان الآخر، والنزاعات الدامية بين الأمراء البويهيين، والصراعات العنيفة بين الشيعة والسنة.

الكلمات الدليلية: الصورولوجيا، الأنا، الآخر، بهاءالدولة، الشريف الرضي.

---

*. الكاتب المسؤول: z.afzali@basu.ac.ir

١. المقدمة

نشأ الأدب المقارن على أيدي الفرنسيين في القرون الأخيرة ثم تطوّر واكتمل فظهرت فيه فروع شتى منها علم الصورة أو الصورولوجيا (imagologie). هذا العلم يتطرق إلى دراسة صورة الأجنبي التي يعكسها الأديب في أثره الأدبي ويعبّر عن آرائه ومعتقداته تجاهه. يسمّى الأديب بالأنا أو الناظر والأجنبي بالآخر أو المنظور إليه وفقاً لما اصطلح عليهما الصورولوجيون. إنّهما يعتبران حجرين أساسيين تبتني الصورولوجيا عليهما لأنّ تكوّن كل صورة ينوط بتعرّف الأنا على الآخر وهذا التعرّف يؤدّى إلى عرض واقع للأجنبي الذي تقوم به الأنا. من هنا تتضح أهمية الصورولوجيا لأنّها تفتح آفاقاً واسعة لمعرفة الشعوب والإطلاع على ثقافتها وحضارتها بواسطة الأدب وتؤول إلى تعميق فهم الأنا وتصحيح فهم الآخر وتغني الشخصية الفردية وتجعلها قادرة على تقييم نفسها والآخرين. إذن إنّ الآثار الأدبية التي تحتوي على صورة الآخر الأجنبي لها دور هامّ لإدراك هذه الغاية. الدواوين الشعرية لبعض شعراء العرب في العصر العباسي التي انعكست عليها صورة البويهيين الإيرانيين تصدّق على هذا الأمر. إنّهم تملّكوا الحكم طوال قرن ونيّف (٣٢٠-٤٤٧هـ) (طقوش، ٢٠٠٩: ٢١٨-٢١٩)، واستحوذت دولتهم على كيان الدولة العباسية إثر الضعف والوهن وانتهى نفوذ الخليفة العباسية باستيلائهم وهم أصبحوا أصحاب الكلمة والنفوذ في العراق وتمادوا في حكمهم فيها وكان فيهم قسوة وجشع وحبّ للمال فأكثروا من المصادرة والعزل و القتل (الزهيري، ١٩٤٩: ٢٧-٢٩).

لقد أثارت تصرّفات البويهيين صراعات عنيفة بين الأنا العربية والآخر الإيراني وازدادت هذه الصراعات في عصر بهاء الدولة الأمير البويهي، و هو العصر الذي كان يمثّل مرحلة سياسية واجتماعية عصيبة للجنس العربي، إذ تعرّض لاضطهاد الآخر الإيراني وكما قيل إنّ المجاعات والكوارث أصابت بغداد وعطّلت مرافق الحياة. تلك الأحوال تجلّت في شعر شعراء العرب خاصة في شعر الشريف الرضي الشاعر العراقي؛ لأنّه كان يرفض التأثيرات الأجنبية المنافية العروبة وأرومته. إذن تتوافر الصور الخفية عن شخصية ذلك الأمير الإيراني في ديوانه، فشعره حري بالدراسة من الناحية الصورولوجية. هذا ما يتناوله البحث الحالي ليجيب عن الأسئلة التالية:

١. كيف تكوّنت صورة بهاء الدولة في شعر الشريف الرضي؟

٢. ما هي حالات قراءة الآخر الإيراني البويهي عند الشريف الرضي؟

٣. ما هي الأسباب المؤثرّة في تكوين صورة بهاء الدولة؟

الإجابة عن هذه الأسئلة تقتضي تحليلاً صورولوجياً لشعر الشريف لأجل الوقوف على وجهة نظره بشأن بهاء الدولة والإلمام بموقفه منه.

من هذا المنطلق يتمّ البحث بالإشارة إلى الدراسات السابقة، و إيضاح الصورولوجيا، وذكر موجز عن حياة الشريف الرضي وبهاء الدولة ودراسة صورته في شعر الشاعر بالاستشهاد بالأبيات الشعرية.

قد تمّت كتابة الدراسات المتعلقة بالصورولوجية باللغتي الفارسية والعربية في إطار الكتاب والأطروحة والمقالة، غير أنّ الدراسات المنجزة بالفارسية معدودة. وبما أنّ مدار هذه المقالة يدور على الشعر نرمز إلى بعض الدراسات الشعرية المتعلقة بها فيما يلي: «صورة الآخر في الشعر العربي» لفوزي عيسى:٢٠١٠، قد اشتملت هذه الدراسة على تحليل صورة الآخر التي تجلت في شعر أبرز شعراء العرب من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي. «التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر» لأحمد ياسين السليمانى، ٢٠٠٩، قد تناولت هذه الدراسة الأنا والآخر ومظاهرهما وعلاقاتهما في الشعر العربي المعاصر. «الأنا والآخر في شعر محمد الفهد العيسي» لعبدالله بن محمد الأسمري، ٢٠١٤، قد اعتمد هذا البحث على دراسة الأنا والآخر منفردين ومجتمعين فضلاً عن دراسة طبيعة علاقتهما ونوعها في شعر محمد الفهد العيسى. «الآخر في شعر المتنبي» لرولا خالد محمد غانم ٢٠١٠ قد قام هذا البحث باستعراض صورة الأنا إلى جانب استعراض صورة الآخر العربي الممدوح وصورة الآخر الأعجمي المسلم وغير المسلم في شعر المتنبي. «صورة مدينة يافا في نماذج من الشعر العربي» لإسماعيل مسلم الأقطش والآخرين، ٢٠١٢، قداحتوى هذا البحث على استحضار المادة الشعرية وتحليل مضامينها والكشف عن الصور الأساسية لمدينة يافا من خلال القصائد. «تصويرشناسى اديبان ايران از نگاه اديبان عرب؛ مطالعه مورد پژوهش: «صاحب بن عباد از نگاه ابن نباته سعدى و شريف رضى» لزهراء أفضلي ١٣٩٤، قد اشتمل هذا البحث على استعراض شخصية الأديب الإيراني الصاحب بن عباد في شعر ابن‌نباته السعدي والشريف الرضي معتمداً على مبادئ الصورولوجيا. «تصوير ديگرى ايرانى در شعر عربى نمونه موردى: «تصوير امراى طاهرى در شعر بحترى» لزهراء أفضلي١٣٩٥، قد ابتنى هذا البحث على دراسة صورة بعض الأمراء الطاهريين الإيرانيين في شعر البحتري وفقا لمبادئ الصورولوجيا. جدير بالذكر أنّ المقالة الموجودة تماثل البحثين الأخيرين في

الموضوع لكنّها تتميّز عنهما لإكثار العناية بالأنا والآخر كعنصرين أساسيين للصورولوجيا بالإضافة إلى إمعان النظر في الشواهد الشعرية وتحليلها.

والملاحظ أنّ صورولوجية الشعر العربي للعصور التاريخية المختلفة قد وقعت موقع إهتمام الباحثين في تلك الدراسات من زاوية خاصة. أما ما يجب ذكره فعدم العثور على دراسة عن صورة الأمراء البويهيين في شعر الشريف الرضي، فهذا الأمر يدلّ على أنّ موضوع المقالة الموجودة غير مسبوق يستحق البحث.

٢. الصورولوجيا

إنّ الصورولوجيا أو علم الصورة تعتبر «أحد الأنشطة المفضلة للمدرسة الفرنسية التي بدأت مع جان–ماري كاريه (J.M. Caree)، ثم أخذها فرانسوا جوبار (Francois Guyard) ونشرها» (Pageaux, 1994:59)، ثم التحق بهما المقارنون الآخرون وطوّروها فأصبح منهجا لنقد النصوص الأدبية. وقد قُدّمت آراء لتحديد الصورولوجيا وذكر أنّها «دراسة صورة الأجنبي في أدب ما» (Brunel&Chevrel, 1989:133)، أو «دراسة تجليات الأجنبي في الأدب» (نامور مطلق، ١٣٨٨: ١٢٢) أو «الكتابة عن الآخر وتصويره وفق ما موجود في الخزين الذهني» (Pageaux, 1994:66)، أو «دراسة صورة الآخر في النصوص الأدبية» (نانكت، ١٣٩٠: ١٠٠)، وعلى حد قول بعض آخر «هي الدراسة التي تهتم بمعرفة الصورة الذهنية يشكّلها شخص عن نفسه وعن الآخرين» (Pageaux, 1994:89).

كما يبدو أنّ «الصورة»، «الأجنبي»، «الآخر» و«الأدب» كلمات رئيسة لتحديد الصورولوجيا في الأقوال الآنفة الذكر إلا أنّ القول الأخير يتميّز عن غيره من ناحيتين: الأولى عدم الإشارة إلى لفظة الأدب ضمن التحديد، والثانية الارتكاز على «صورة الشخص عن نفسه»، الصورة التي تراد بها صورة الأنا فضلاً عن صورة الآخر، والواقع أنّ صورة الأنا والآخر جزءان لا يتجزءان وكما يرى دانييل هنري باجو الصورولوجي الفرنسي أنّ «الأنا تنظر إلى الآخر وصورة الآخر تعرض صورة من هذه الأنا الناظرة إليه» (Pageaux, 1994:61).

نستنبط من رأي باجو أنّ الأنا والآخر يؤدّيان دوراً رئيسياً في تكوّن الصورولوجيا، نظراً لهذا الدور لا بد من الوقوف عند معناهما اصطلاحا.

٣. الأنا والآخر إصطلاحاً

إنّ للأنا وللآخر معنى مصطلح إلى جانب المعنى اللغوي؛ لأنّهما قد استعملا في علوم مختلفة خاصة في علمي النفس والاجتماع. يرى علماء النفس أنّ «الأنا تمثّل الجانب الواعي من الشخصية الإنسانية وهي حلقة الوصل بين ذات الفرد والعالم الخارجي» (فرويد، ١٩٨٢: ١٦)، وأما الآخر«فهو حقيقة ماثلة في الداخل والخارج أو في الواقع والحلم من الأنا» (كاظم، ٢٠٠٤م: ٣١٣).

ويعتقد السوسيولوجيون أنّ «الأنا، التصور الحاصل لدى الشخص من نفسه مع هوية شخصية» (كوئن، ١٣٩٢: ٨١)، وهي فرد واعٍ لابد له من أن يتحضر ويتعلم كيف يعيش في جماعة ويدرك في الوقت ذاته، الأهمية الرئيسة لشبكة العلاقات الاجتماعية (بن نبي، ١٩٨٦: ٩٤)، وأما الآخر في رأيهم هو الذي يتفاعل أمام الأنا (كوئن، ١٣٩٢: ٨١)، وتتكامل العلاقات بينهما وتتحقق قواعدها وترسى على الأهداف والمصالح والمعتقدات المشتركة التي تؤدي إلى عضويتهما في جماعة واحدة لإزالة حاجاتهما وكل منهما عبارة عن مرآة تعكس ما يقوم أمامها (رجب، ١٩٩٤: ١٥).

يستنتج مما تقدّم ذكره أنّ الأنا تتعلق بالآخر ولا تنفصل عنه؛ فقد استرعى هذان المصطلحان انتباه الصورولوجيين حتى أخذوهما عنهم واستخدموهما في الأدب لوضع أساس الصورولوجيا ومبادئها التي سنقوم بايضاح أهمها في العبارات التالية.

٤. حالات قراءة الآخر

تتعدد حالات قراءة الآخر حسب تأويل الأنا وتأثرها بالأسباب. أهم الحالات التي اتفق عليها الصورولجيون هي:

٤-١. التشويه السلبي

إنّه ينبعث من وهم الرهاب و«يقوم بتقديم الثقافة الناظرة على الثقافة المنظور إليها، ويعدّها أعلى مستوى» (Pageaux, 1994:71)، ويؤول إلى «رؤية متفوقة في ثقافة المبدأ جزئياً أو كلياً» (Brunel&Chevrel, 1989:152)، وفي الأغلب ينمو من «حالة العداء للآخر حيث تؤدي العلاقات العدائية بين الشعوب إلى تكوين صورة سلبية عن الآخر ولن يسمح بسماع صوته فيبرز الواقع الثقافي الأجنبي في مرتبة أدنى من الثقافة المحلية» (حمود، ٢٠٠٠: ١٢٠)، وفي هذه الحالة

تكون وظيفة هذه الصورة إثارة مشاعر العداء تجاه الآخر، ومشاعر الوداد والتضامن تجاه الأنا فتتحول إلى آلة للتعبئة النفسية.

٤-٢. التشويه الإيجابي

إنه ينجم عن الوهم الخادع و«يؤدي الهوس فيه إلى اعتبار واقع الأجنبي الثقافي متفوقاً على الثقافة القومية الناظرة جزئياً أو كلياً (Pageaux, 1994:71)، و«التقييم الإيجابي للثقافة المنظورة يكون متساوياً للرؤية الرديئة في ثقافة المبدأ وفي هذه الحالة نواجه التلاعب من قبل المؤلف أو الجماعة الناظرة» (Brunel&Chevrel, 1989:152)، وهذه الصورة «قد تصل حد التبجيل دون أن يكون لذلك ما يسوغه في الواقع الموضوعي» (عبود، ١٩٩٨ :٣٧١)، وتتكوّن إثر عقد نقص تعاني منها الأنا تجاه ثقافة الآخر وأسلوب حياته.

٤-٣. التسامح

إنّه ينشأ عن وهم الوفاق ويثير الناظر (الأنا) حتى «ينظر إلى الواقع الأجنبي، ويحكم عليه بصورة إيجابية، وذلك يدرج ضمن الثقافة الناظرة التي تعدّ هي بدورها إيجابية ومكملة للثقافة المنظورة.فالتسامح يعيش على المعارف المتبادلة والتبادلات النقدية وحوارات الند للند» (Pageaux, 1994:72)، ويطور تقويم المنظور إليه عبر رؤية موضوعية ويعيد تفسيره ويحاول الاعتراف به لا متفوقاً ولا متدنياً بل متوازناً.

٥. الأسباب المؤثّرة في تكوين الصورة

إنّ صورة الآخر لا تطابق الواقع تماماً بل يضاف إلى الواقع شيء أو يحذف منه؛ لأنّ «كل فرد أو جماعة أو بلد يصنع لنفسه عن الشعوب الأخرى صورة مبسطة تبقى فيها فقط معالم هي أحياناً جوهرية في الأصل وأحياناً عرضية» (جويار، ١٩٥٦: ١٦٤)، ومن جانب آخر تتأثّر الصورة بأسباب عديدة نحو «الآراء المسبقّة، المصوّر (الأنا) نفسه والصور المسبقة وغيرها» (نامور مطلق، ١٣٨٨: ١٢٦)؛ إذن فعلى الباحث أن يلاحظ الأسباب المؤثرة في تكوين الصورة ليميّز الصورة المشوّة من غيرها ومدى مطابقتها الواقع.

٦. نبذة عن سيرة الشريف الرضي

هو أبو الحسن محمد بن الحسين (٣٥٩-٤٠٦هـ) المعروف بالشريف الرضي، ولد ببغداد وتوفي فيها (الزركلي، ١٩٨٩: ٩٩/١). قد ذاق تجربة مريرة في بداية حياته إذ لم يخدمه الزمن أن يعيش في رغد

العيش؛ لأنّ عضد الدولة البويهي لما قدم العراق خاف والده أبا أحمد الموسوي لنفوذه بين الناس فقبض عليه، وسيّره إلى قلعة بفارس حيث سجن فيها، ونكبت أسرته وأولاده بمصادرة أملاكه (ابن أثير، ١٩٦٥: ٧١٠/٧)، واستمرّت هذه المحنة سبعة أعوام، ولم تنفرج إلا بموت عضد الدولة.

وأما علاقته بالبويهيين فكانت عابرة غير أنّه كان عهد بهاء الدولة أكثر خصباً وأعظم فائدة للرضي نظراً للمكانة الرفيعة التي كان يتمتع بها، وقد لقّبه بالشريف الجليل وذي المنقبتين، وبالرضي ذي الحسبين (الأميني، ١٩٨٤: ٢٥)، وتولى نقابة الطالبيين سنة ٣٨٨هـ، وكانت إليه إمارة الحج والمظالم نيابة عن أبيه (الخنيزي، ٢٠١٣: ٢٣).

٧. نبذة عن سيرة بهاء الدولة البويهي

إنّ أبانصر خسرو فيروز بهاء الدولة بن عضدالدولة من ديالمة فارس، وأمير من الأمراء البويهيين الذين لم يكن لهم موقع متميّز قبل الحصول على السلطة. كان يتسم كأسلافه بالعادات الفارسية التي كانت ميراث الساسانيين من حبّ العظمة والإجلال والفخفخة لدهاقينهم والتقديس لمجد دولة فارس القديمة، فتلقّب بألقاب الكسرويين مثل الشهنشاه (ملك الملوك) وكان لا يهمّه إلا دوام إمارته (مسكويه، ١٣٧٩: ٣٢٠/٦)، فكان يسوس الأمور بأهوائه ونزعاته الطائشة فيصادر ويعزل ويقرّر الضرائب المرهقة في النهر والبر للضائقة المالية (المقدسي، ١٩٩١: ١٣٣)، ويقطع الإقطاعات الواسعة لمن يشاء لجلب الخلفاء. فأدّى ذلك إلى استخراج الأموال من غير وجوهها وإلى مصادرة العامة أو الحيلة باتهام وازداد الفتك والظلم والفساد (السيدجاسم، ١٩٨٥: ٤٧).

ازداد نفوذه ولقّبه الخليفة بهاء الدولة، وضياء الملة، وقوام الدين، واستبدّ بالسلطة، وأصبح الخليفة ألعوبة في يده ولم يعد له شيء سوى معاملته الدينية (حسن، د.ت: ٤٥٤)، غير أنه لما بايع الخليفة الطائع وتعهّد له بوصفه زعيماً دينياً خانه بعدما هوّن عليه وزيره الطمع في ماله (ابن أثير، ١٩٦٥: ٧٩/١٩). إعتنق مذهب الشيعة الإمامية كعائلته (فقيهي، ١٣٦٦: ١٢٩)، وبسبب الخلاف في المذاهب خاصة الشيعة والسنة خربت بلاد كثيرة في زمنه (أمين، ٢٠١٥: ٨/٢).

ما مرّ ذكره ملخّص عن حياة بهاء الدولة استنادا إلى أقوال المؤرخين وغيرهم، ونتساءل هل هذا الرأي يوافق رأى الشريف الرضي فيه أم يغايره؟ والتحليل الصورولوجي لشعره ييسّر الإجابة عن هذا السؤال في ما يأتي.

٨. صورة بهاء الدولة البويهي في شعر الشريف الرضي

قد عاصر الرضي بهاء الدولة واتصل به مباشراً في العراق لمدة أربع وعشرين سنة، فلما يتحدث عن الأمراء واستبدادهم فهو يعني بهاء الدولة، إذ في عهده كثر الفتن، وارتفعت الأسعار، وفشت الأمراض والمجاعات، وعاش الناس في خوف ورعب من اللصوص وقطاع الطريق، ووقعت الفتن بين أهل السنة والشيعة، فانتشرت الحرائق المتعمدة ونهبت الأموال (حسن، ١٩٧٠: ١٠-١٥)، وذلك جرح شعور الرضي الذي كان متحيزاً لقومه، ودفعه إلى رسم صورة بهاء الدولة البويهي. تلك الصورة المرآة التي تعكس صورة الشاعر بصفته الأنا العربية أيضا، وتميط اللثام عن رؤيته تجاهه في ما يلي.

٨-١. التلقب بالألقاب الساسانية

كان البيروني وابن ماكولا نسبا البويهيين في الساسانية إلى بهرام جور، ومسكويه إلى يزدجرد وهو نسب مدخول (ابن خلدون، ١٩٨٨: ٤٩٠/٣)، والواقع أنّ احتراف الجندية والدخول في خدمة القادة الديالمة مكّنا أولاد بويه من الظهور وسرعان ما ارتقوا إلى مرتبة الأمراء في جيش ماكان بن كاكي ومرداويج من قواد الساسانية حتى أسّست الدولة البويهية على يد الجيل الأول، وعندما تولّى عضدالدولة الإمارة في الجيل الثاني لقّب نفسه بشاهنشاه مقلّداً الأمراء الساسانيين ثم حذا حذوه أفراد البيت البويهي (عزام، ٢٠٠٩: ١٩٤-٢٠٠)، ومنهم بهاءالدولة الذي كان يحلم بدولة فارسية كأبيه، ولذلك دفعه كبرياؤه إلى تلقيب نفسه بألقاب الساسانيين كملك الملوك طامحاً إلى القدرة، فقد صوّره الرضي في صورة ملك ساساني متوّج قائلاً:

مِن بني ساسانَ أقنى ضُرِبَت ... حُجَـرُ الملـك عَلَيـهِ والسُّـدَد
طَلَعَت في كُـلّ أفـقٍ شَمسُـه ... هل تَرى يختَصُّ بالشَّمس بَلَد
مـا رَأَينـــا كأبيـه ناجـلاً ... وَلَـــدَ النّـــاسَ جميعـــاً بِولَـد
إن يَكُن تاجاً وَعَضداً فَابنُهُ ... دُرّةُ التّـــاجِ وَدُملـوجُ العَضُـد

(الشريف الرضي، ١٩٩٥: ٢٦٢/١)

إن هذه الصورة لا تخلو من الغلو حين يقول إنه من بني ساسان، وعليه بنيت الأحجار والأسرة الملكية، وكأنه شمس لا تختص بمكان دون آخر، ولا تغيب عن وسط السماء الملكية أبداً.

إنه من جيل كريم وإن كان أبوه لُقّب بتاج الملة وعضد الدولة، فابنه بهاء الدولة درة تاجه وسوار عضده، وقد أمعن الشريف الرضي في تصويره بالصور الفارسية، إنه يتسم بـ«بني ساسان»

الذي له «الملك والسدد»، وكأنه «درة تاج» عضد الدولة، و«دملوج عضده»، وكلها من صفات كسروية فارسية من شأنها أن تزيد من قيمة الآخر وتضخيمه وإعلائه، ومثله قوله حين يحتفل بلقبه:

مَلِكُ الملُـوكِ، بِـهِ يُـرَا وَحُ بَينَ عَفـوٍ وَانتِقـامِ
لَـو كَـانَ شَيء دَائِمـاً بَشَّرتُ مُلكَـكَ بِالدَّوَامِ

(المصدر نفسه: ٣٠٧/٢)

ويخاطبه بملك الملوك (شاهنشاه) الذي يعد من ألقاب ساسانية، قائلاً إنه ملك الملوك وله السلطة والقدرة، تارة يميل إلى العفو، وتارة يميل إلى انتقام، وإن كان شيء أبدياً في الحياة فقد بشرت ملكك بأن يكون الباقي إلى الأبد. إن هذه الصورة ومثلها مكررة في معرض مدحه لبهاء الدولة غير أن الرضي لم يصوّره في صورة ملك ساساني إلا عن مداراة لأنّه كان يمدحه كعادة جارية عند الشعراء ويصوّره برؤية متفوقة تتميّز بهوية فارسية إذ إن بهاء الدولة كان يرغب في تقديم صورة مثالية لنفسه تساعده في تعزيز أسباب دولته، وتحصيل مكانة مثالية لأسرته الفارسية، ولكن لم ترتكز هذه الصور المكررة ومثلها على استعلاء الآخر البويهي عند الرضي الذي كان شاعراً واعياً لعمق قوميته، ولذلك على الرغم من الحظوة التي نالها عنده، فهو لا ينسى العروبة وهويته العربية، وهذا يعني أنه لما مدح الآخر معتزاً بجيله الزائف، ولقبه الملكي استصغره كذلك بصورة ضمنية، وذلك يتبين لنا حين ينطق عن نفس ذات حمية جياشة تتغنى بمفاخر أجداده وانتصاراتهم على آل ساسان حيث مرّ بالمدائن ونظر إلى إيوان كسرى وأخذته العزة بانتصار أجداده عليهم فقال:

آلُ ساسانَ حَدا الخَطبُ بهم وَاستَرَدَّ الدَّهـرُ مِنهَـم ما أعـارَا
عُمِّـرُوا لم يَعلَمُـوا أنّ لَنَـا جـائـزَ الأمـرِ عَلَيهـم وَالإمَـارَا
عَلِمُـوا لمّـا أُذِيقُـوا بأسَنـا أنّ عِقْبَ الجَرِي قَد بذَّ الحِضارَا

(المصدر نفسه: ٤٤٦/١)

إن الرضي في الصور الماضية سعى لإلصاق الهوية الساسانية إلى الممدوح تفخيماً وإكراماً له، وذلك يعدّ من المظاهر الإيجابية لبهاء الدولة، غير أنه هنا يجهد في الحط من شأن الآخر في صورة خفية كأنه يقول مخاطباً إياه إنّ بني ساسان الذين تعتز بهم وبألقابهم، ذات يوم انكسروا أمام العرب وهم كانوا لا يعلمون أننا العرب نستولي عليهم، وبعدما جربوا بأسنا تيقنوا أن حضارتهم على حافة الانهيار. إذن إنّ التركيز على أمجاد الماضي ومحاولة استحضاره إلى الواقع عنده محاولة لإبراز فكرة تنشأ عن شعوره بالقهر الذي يدفعه إلى تغيير واقع العروبة، والبحث عن الهوية التي تجعل قومه يتميّز عمن سواه؛ ففكرة الانتماء مازالت واضحة عنده، ومن ثمّ كانت صورة الأنا في

مواجهة الآخر البويهي عميقة المعنى، قوية الدلالة، وراسخة الحضور، وتعامله مع هذه الحقيقة ليس مرحلياً أو مرهوناً بأزمات شخصية تتصل بالمطامح بل هو ركن جوهري في منظومة أفكاره، وفي ظل تلك الأوضاع حرّكه الشعور بالانتماء وتعزيز النسب الشريف لمنافسة الآخر البويهي ونسبه المزيف، ويقول:

لَنَا الدَّوحَةُ العُليَا التي نَزَعَت لَهَا إلى المجدِ أغصَانُ الجُدُودِ الأطايِبُ

(المصدر نفسه: ١/١٤٢)

ودعا لنشر الإيديولوجية المبنية على العروبة، وقد وردت هذه النزعة العربية عنده في مناسبات عديدة وكثيراً ما صرّح بها، وسعى إلى تحقيق طموحاته، وأهمها هو الحطّ من شأن الأمير الفارسي و هذا يعتبر من المظاهر السلبية بالنسبة إلى بهاء الدولة الذي كان ينتسب إلى دولة فارسية فخمة كالساسانية لتعزيز سلطته، وكلما يلحّ الممدوح على عنوانه الملكي، يبرزه الشاعر كعنصر للتقرب إليه، ويشتدّ الجانب القومي في شعره بواسطة استحضار الذكريات التاريخية ليتراجع بهاء الدولة عن كبريائه، ويستعرض له الصولة العربية والعقاب العربي قائلاً:

وعِندي للعِدى لا بُدَّ يَومٌ يُذِيقُهُم المسَمَّمَ مِن عِقَابي
وَأُركِزُ في قُلوبِهِمُ رِمَاحي وَأَضرِبُ في دِيارِهِمُ قِبَابي

(المصدر نفسه: ١/١٨٦)

وبهذه النزعة كانت الأنا عند الرضي متميّزة بسمات كان يتطلع إليها فيحترم الشخصية العربية ويدعو لاسترجاع مكانتها إليها ومع أنّه يعطي الآخر البويهي ما يسرّه من الألقاب الساسانية، ويصوّره تصويراً إيجابياً ويرسم صورته برؤية متفوقة، ولكنّه لا ينسى الشقاوة التي طرأت على مجتمعه بسببه سياسياً كان أو اجتماعياً.

٨-٢. التلقب بالألقاب العربية الإسلامية

إذا كانت الألقاب الساسانية من أهم القيم الفارسية التي اهتم بها أبونصر خسرو فيروز، فإن الألقاب العربية الإسلامية كبهاء الدولة، وضياء الملة، وقوام الدين، كانت أيضاً في مقدمة القيم التي احتفل بها هذا الأمير البويهي، ولعل أهمية هذه الألقاب تعود إلى طبيعة الحياة في المجتمع العربي، وكان يرى أن استمرار سلطته يحتاج إلى وسم يدل على تضامن أكثر مع الشعب العربي الذين كانوا قد تعودوا على مثل هذه الألقاب خاصة حين لقب بها من قبل الخليفة العباسية، وما كان يقدر أحد أن يقوم بتكوين هذه الصورة قوياً متماسكاً إلا الرضي حيث يمثّل الآخر البويهي بقوله:

أَيا غِيَاثَ الخَلقِ إن أَجدَبُوا وَيَـا قِـوَامَ الدِّينِ إن قُوِّضَا
وَيا ضِيَـاءً، إن نَـأَى نُورُهُ لم نَـرَ يَومـاً بَعـدَهُ أَبيَضَا
(المصدر نفسه: ١/٥٢٤)

وكذلك يمثّله قوله:

أَنتَ لِلدُّنيـا وَلِلدِّيـ نِ مِسَـاكٌ وَنِظـامُ
وَبَهَـاءٌ وَضِيَـاءٌ وَغِيَـاثٌ وَقِـوَامُ
(المصدر نفسه: ٢/٢٥٠)

وقد أظهرت لنا هذه العبارات القصيرة المتكونة من الألقاب موقف الشريف من ممدوحه ليؤكد على المكانة العربية التي كان يقصدها بهاء الدولة، و هذا يعتبر من الصور الإيجابية التي لم يعارضها الرضي في شعره خلافاً لما مضى حين مثّله في صورة ملك ساساني، ولعل ذلك يعود إلى ما ناله عنده من مناصب عدة كنقابة الطالبيين، وإمارة الحج، وغيرها من الأمور التي منحته الوجاهة، ولذلك يعتبر اهتمامه بألقابه وعدها كالشكر والتقدير، إذ إن أكثر هذه الصور مقدّم في معرض المدح والتهنئة في الأعياد، وفيها يشكره على ما أنعم به عليه، ولذلك يسلك الرضي في تقديم الصورة هذه طريقاً سار فيه كثير من الشعراء من قبل.

٨-٣. التعسف و الاضطهاد

ولما لم يكن لبهاء الدولة من موقع متميّز بين القوم العربي اندفع إلى تثبيت مركزه بوسائل شتى ليسيطر عليهم، ولذلك أصبحت مصالحه فوق كل مصلحة وأغار على أقرانه وتمادى في جبروته، وكان «ظلوماً غشوماً سفاكاً للدماء حتى إنّ خواصه كانوا يهربون من قربه، وجمع المال ما لم يجمعه أحد بني بويه ولم يكن في ملوكهم أظلم منه ولا أقبح سيرة» (ابن تغري، ١٩٩٢: ٤/٢٣٣)، فكان الرضي كلما سنحت له الفرصة يهجم على عدوانه ويصدر عن معاناة الأنا ومع أنّ الآخر منحه الألقاب والمناصب، ولكنّه كان يرفض المجاملة ويصبر على البقاء في صفوف المعارضة، ويستفيد من صور خفية خوف البغي، ويتمثّل خطابه في مبادئ قومية أساسها فكرة أنّ الحق لا يدرك إلا بالجد، وتحقيق الدولة العربية على أرض الواقع هو الحل الأمثل لمشاكل قومه حين يرى الآخر البويهي كالبهمة غافلاً عن قومه ومفرطاً في ظلمه وإغارته، وكأنه يتأجج عليه واصفاً إياه بالجهل والغفلة قائلاً:

أَرَى مُلُوكـاً كَالبِهـامِ غَفلَـةً في مِثـلِ طَيشِ النَّعَمِ الجَوافِـلِ
(الشريف الرضي، ١٩٩٥: ٢/١٥٦)

وقد كان بهاءالدولة متوغلاً في الحروب مع الطامعين في منصبه من آل بويه، واتضح أن لجوئه إلى الإقطاعات والمصادرات دليل على أنه لا يهمه سوى توفير المال اللازم للقادة والجند في معارضته لهم، وكان لا يهتم بآثاره السلبية الوخيمة على المجتمع البغدادي الذي «يعاني الغلاء والمجاعات والفتن» (حسن، ١٩٧٠: ١١)، فكان الرضي يرى في الآخر خصماً لدوداً آل إلى فجيعة مجتمعه ونهب أمواله، ويدعم هذا، قوله:

وَأَمـــلاكٌ يـَرَونَ القَتـلَ غُنمـاً وَفي الأمـــوالِ لَو قَنِعُــوا فِـدَاءُ

(الشريف الرضي، ١٩٩٥: ٣٨/١)

وعلى ذلك فقد قامت الإيديولوجية القومية عند الرضي على فكرة العروبة، وساعد على نشوئها حنينه إليها، وآمن بها كعقيدة أسسها تراث مشترک من اللغة والثقافة والتاريخ ووحدة المصير، ولذلك يعتصره همّ جماعته، ويغتلي في وجدانه شعوره القومي، ويدعوه إلى التذكير بمفاخر قومه وحروبهم للتباهي بها تجاه الآخر، ولكنه لا يكتفي بالتذكير بمفاخر قومه حتى تهدأ عاصفة الإيديولوجية القومية في نفسه بل يبذل جهداً مضاعفاً لإعادة الوحدة إلى الكيان العربي ليحقق العدالة والحرية للعرب، ويؤكد على البعث والتخلص من الهيمنة البويهية، ومن ثم يعرض لممدوحه بهاء الدولة حين يذكر له وقعة العرب بالفرس في حرب ذي قار، وذلك في معرض شكره على ما «ورد من أمره بأن يضاف إلى أعماله، النظر في أمور الطالبيين سنة ٤٠٣هـ» (برقعي، ١٣١٨: ٣١)، ويرمز من خلاله إلى أمجاد العرب دون الخوف من عدوان الممدوح، ويتحمس في محضر بهاء الدولة قائلاً أيها البويهيون لا تنسوا أبطالنا في اليوم المعروف، والذي ورد فيه ملك الفرس دون أن يجرب بأسنا، فقتل متلطخاً بدمه، ويتمثل ذلک في قوله:

أُذكُرُونا يَومَ ذي قَــارٍ وَقَد أَقبَلُـوه عارِضَ الطَّعنِ بِرَدّ
رُحِـضَ الأغلَــفُ في تَيَّارِهِ وَرَدَ العِلـجُ وَمَــا كَـادَ يَرِد

(الشريف الرضي، ١٩٩٥: ٢٦١/١)

ويواصل الشاعر نبرته التحذيرية للآخر البويهي مستميلاً التاريخ، فالعودة إلى الماضي تكشف عن الحقائق التي تظهر القوة والإقتدار والثقة العالية بالنفس لدى الأنا، فقد تترجم لنا هذه الأبيات ثورة الشاعر على السلطان ورفضه عدوانه وإباءه الضيم، وتخبرنا بما يختزنه الرضي من آراء حيال السلطان البويهي، وتحكي لنا عدم اكتراثه لهيبته، ويدل ذلك على أنه متى تتعارض مصالح قومه مع الآخر، يقف موقف الند له بصرف النظر عن مكانته وسلطته، ولهذا أصبحت القومية

ووجودها وإثباتها حلم الأنا، وليس مستغرباً أن يكون لدى الرضي بمنزلة بيان للثورة على الآخر، محاولاً تجسيد وعي أمته وتنبيهها إلى الأخطار المحدقة بها، وزرع الفكر التحرري من خلال محاولة إيقاظها، لأنه أراد لقوميته أن تكون قومية فاعلة وواعية، فتحول خطابه كثيراً ما إلى اللافتات التي تسعى إلى تثبيت المقومات الأساسية لإعادة الهوية القومية.

فالآخر عنده خصم ألدّ لا يحتفل بتصديع وحدة المجتمع العربي في ظل أحداث دموية تتجدد وتتوالى وتخرب البلاد، فالشريف لعروبته اتخذ موقفاً ثورياً محتفظاً بروح التحدي لما عليه من قلق تجاه مجتمعه، وعلى الرغم من انتمائه إلى طبقة ميسورة فإن موقعه القيادي فرض عليه رفض الواقع وإدانته.

٨-٤. الغدر ونكث العهد

لم يكن الخطاب الإيديولوجي العربي لدى الشريف قومياً فقط بل دينياً أيضاً؛ لأنّ الهوية الدينية كانت جزءاً أساسياً من التركيبة الاجتماعية العربية عنده. إنّه كان يعيش في عصر سيطر فيه عادات وأعراف تعمل على تهميش المجتمع العربي وتفتيته، ولا تمت إلى العربي بصلة ولا إلى الخليفة بأدنى سبب بوصفه زعيماً دينياً عربياً فأصبح محتقراً ومسيراً وفق أهواء البويهيين، لا أمر له ولا نهي ولا كلمة له مسموعة، وإنما الأمر كله بيد بني بويه (حسن، ١٩٧٠م: ٦)، فهذا التصور الثابت للهوية الدينية وزعيمها أدّى إلى القضاء على احتمال أي تجديد في الهوية الدينية، وبهذا بدأ الانهيار الديني مع النظرة الدونية إلى الآراء والعادات العربية، واكتملت الأزمة وولدت شعوراً بالغبن وتمثّل ذلك أكثر فأكثر في خلع الخليفة الطائع من قبل بهاء الدولة ونكث عهده رغبة في ماله لتسديد مرتبات جنوده الذين أوشكوا أن يثوروا ضده، وكان الرضي إذ ذاك حاضراً في المجلس ورأى بعيني رأسه ما وقع ففرّ هارباً طالباً النجاة بنفسه (الكيلاني، ١٩٣٧: ١٤)، وأثر ذلك عليه أثراً عميقاً وكلما سنحت له الفرصة عبرت عن عداوة بهاء الدولة وبغضه للخليفة قائلاً:

أينَ الَّـذِي أَضمَرتهُ مِن بُغضِهِ وَعَقَدتَـهُ بِالسِّـرِّ وَالإعـــلانِ

أم أيـنَ ذاكَ الـرَّأيُ في إبعَـادِهِ حَنَـقـاً وَأيـــنَ حَمِيَّـةُ الغَضبانِ

(الشريف الرضي، ١٩٩٥: ٢/٤٥٦)

إنّ هذه العبارات تهب كالرياح وتكشف عن الصورة الخفية لبهاء الدولة الذي كان يستظل بجناح الخليفة في العراق، ويأخذ اعتباره من قبله بين أهل السنة، فلا بد له من حراسته، بينما اتخذ موقفاً متبايناً تجاهه، ولما استأذن من الخليفة في الحضور ليجدد العهد به، «أنزله عن سريره ونهب

الديلم قصره، وأخذوا ما به من مال ومتاع، واعتدوا على من فيه من نساء وأطفال» (الكيلاني، ١٩٣٧: ١٤)، فكان من الطبيعي أن يميل الرضي إلى الخليفة متحمساً لأجله لكونه إنساناً عربياً في الحسب والنسب، ولا شك في أن ردّ فعله يعبّر عن وجود ظاهرة في نفسه تمثّل جانباً من صور الرفض عنده، لأنّه ذاق طعم العداوة من قبل حيث غضب عضد الدولة على والده، و«اعتقله، وسلب منه نقابة الطالبيين، ونفاه إلى فارس بعد أن صودرت أملاكه» (حسن، ١٩٧٠: ٢١-٢٠)، فقد أدّت سياسة النهب والسرقة، والحرمان من الحقوق الإجتماعية إلى حالة من القلق والحرمان، غير أنه كان يداري السلطة البويهية ويماشيها خوف البغي، ومن كان يتكفل له ألا يعتدي عليه بهاء الدولة كأبيه (عضد الدولة)، فتتكرر له بلاياه ورزاياه، ولذلك قد اكتفى بتقديم الصور الخفية عن الآخر وهمجيته التي كانت تضعضع أركان الخليفة، وفي حديثه عن الأنا المتمثّلة في الخليفة، يستعمل ألفاظاً ذات دلالات تشير إلى النجدة وإغاثة الملهوف بعد أن أُغِيرَ عليه، ويقول:

أمسَيتُ أَرحَمُ مَن أَصبَحتُ أَغبِطُهُ لَقَد تَقَارَبَ بَينَ العِزِّ وَالهُونِ
وَمَنظَرٍ كانَ بِالسَّرَّاءِ يُضحِكُني يا قُربَ مَا عَادَ بِالضَّرَّاءِ يُبكِيني

(الشريف الرضي، ١٩٩٥: ٣٩٣/٢)

فالشاعر يكون متعاطفاً مع الخليفة معنياً بشأنه، رغم تناقضاته معه لعقيدته، ويوليه جانباً كبيراً من إهتمامه، وهو مظهر من مظاهر انتماء الشاعر إلى قومه، ومن ثم ما ساءه ساء الشاعر، ومن رماه رمى الشاعر، وينتهز كل مناسبة للإشارة إلى تلك الوقعة في معرض مدحه للخليفة قائلاً:

كَم مِن أخٍ تَدعُوهُ عِندَ مُلِمَّةٍ فَيَكُونُ أَعظَمَ مِن يَدِ الحَدَثانِ
لَولا يَقِينُ القَلبِ أَنَّكَ حَبسُهُ لَعَصَى وَهَمَّ عَلَيكَ بِالعُدوَانِ

(المصدر نفسه: ٤٥٢/٢)

ويجسد شعره أنه مع الخليفة في مواجهة ممدوحه، ومعوان له في الشدة والرخاء، فشعره يمثل انعكاساً لحركة فكرية ذي ولاء مبعثها الالتزام العقائدي والديني للخليفة بوصفه زعيماً دينياً، واحتفاله به دليل على تعميق الفكر العربي وبلورة مفهوم العروبة لديه.

ولقد أسرف الرضي في هذا المعنى فدافع عن الخليفة لشدة عصبيته وعنف الشعور القومي، وكان من ملامح شعره رفض الواقع البويهي بكل ما يحويه محاولاً استعادة هيبة الخليفة وعزته، فامتزجت الروح القومية بالروح الدينية عنده، فالشاعر يعبر عما يريده الممدوح، ويقول ما يريد أن يقوله هو في اهتمامه بألقابه الفارسية والعربية الإسلامية، غير أنه لا يكاد يغمض عينيه عن رؤية

طموح الآخر إلى السلطة، وعداوته للأنا المتمثلة في الخليفة، وكان يقرن أغراضه دوماً بالقضايا السياسية والاجتماعية التي استحوذت على ذهنه استحواذاً تاماً، والصور المقدّمة قد تناثرت في ديوانه، ويعتد بنفسه بين حين وآخر خاصة حين تشتعل مطالب رسالته السياسية والاجتماعية.

وبناء على ما ذكر نستخلص صورة بهاء الدولة عند الرضي في ما يلي:

التشويه الإيجابي	١. حيث وصف كملك ساساني. ٢. حيث لقّب بالألقاب العربية الإسلامية.
صورة تقرب من الواقع	١. حيث تمّ تكوّن صورته بالعدوان والطموح إلى القدرة. ٢. حيث مثّل معتدياً على الخليفة مصادراً أمواله.

٩. الأسباب المؤثّرة في تكوين صورة بهاء الدولة في شعر الشريف الرضي

بما أنّ الرضي ارتبط بأسباب الحياة فإنّ شأنه شأن أي إنسان آخر يتأثّر بالواقع، وهذا الواقع مع جميع ظروفه المادية والمعنوية غذّى مضامين شعره، وحدّد اتجاهاته، وأثّر في تكوين صورة بهاء الدولة؛ إذن من أهم الأسباب المؤثّرة فيه هي:

٩-١. الأسباب الذاتية

٩-١-١. انتماؤه العربي الهاشمي العلوي، وانفعاله لالآلام التي تعرضت لها الأسرة العلوية تحت وطأة المشاغبات السياسية والاجتماعية بين أطراف الأسرة البويهية، فيفخر بحسبه ونسبه قائلاً:

لَنَا الجَبَهاتُ المستَنِيراتُ في العُلى إذا التَثَـمَ الأقــوامُ ذُلّاً وَأغدَفُـوا
وَرِثنَـا رَسُـولَ اللّـهِ عُلـوِيَّ مَجـدِهِ وَمُعظَمُ مَـا ضَمَّ الصَّفَا وَالمعرَّفُ
(المصدر نفسه: ١٨/٢)

٩-١-٢. وقد كان الرضي، ممن يحمل أسمى الألقاب التي يرمز بها إلى مقامه الفخم، ولقبه بها بهاء الدولة كالشريف الجليل، وذي المنقبتين وغيرهما، ومنحه نقابة الطالبيين، والعناية بإمارة الحج والمظالم (الخنيزي، ٢٠١٣: ٢٣)، وذلك مما جعله يشكره بقوله:

حمداً لأَنعُمِكَ الجِسامِ، فَلَم يَزَل أبَــداً يَزِيــدُ لهـا عليَّ مَزِيدُ
وَالشُّكرُ أنفَسُ مـا وَجَدتُ وَإنَّما أمَـلُ الفَتى أن يُقبَـلَ الموجُـودُ
(المصدر نفسه: ٢٩٥/١)

٩-١-٣. تأثرّه الشديد بسجن والده بأمر عضد الدولة وحمله إلى القلعة بفارس ومصادرة أملاكه وأمواله (ابن أثير، ١٩٦٥: ٧/٧١٠)، وكان لهذه المحنة التي استمرت سبعة أعوام أثر كبير فيه وهو لا يزال صبياً فيقول:

أَبكِي عَلى الأَيَّام وهيَ ضَوَاحِكٌ في وَجهِ غَيرِي وَهوَ فِيهَا حَائِرُ
لو شَابَ طَرفٌ شَابَ أَسوَدُ ناظِرِي مِن طُولِ مَا أنا في الحَوادِثِ نَاظِرُ
(الشريف الرضي، ١٩٩٥: ١/٤٠١)

٩-٢. الأسباب الاجتماعية

إن انعدام العدالة في توزيع الثروة في زمن تسلط البويهيين خاصة بهاء الدولة أدّى إلى ظهور طبقة صغيرة أعجمية استحوذت على معظم ثروات البلاد فأصبح المجتمع البغدادي ألعوبة في يدها ملتجئاً إلى الكدية والتسول، وما كان يرى الشريف في ذلك وصمة عار على قومه بل يوجّهها إلى الآخر البويهي لكونه سارق ما يتعلق بقومه حيث يمثّله قوله معرضاً له:

ما الفَقرُ عارٌ وَإن كَشَّفتَ عَورَتَهُ وَإنّما العَارُ مَالٌ غَيرُ مَحمُودِ
(المصدر نفسه: ١/٢٩٧)

٩-٣. الأسباب السياسية

النزاعات الدامية في الأسرة البويهية التي كانت تؤدي إلى قتل أمير بويهي وخلع الخليفة وتهديد الثغور الإسلامية من قبل الروم وعدوانهم والحروب الأهلية، وكل ذلك كان لفقدان سلطة قوية مركزية فلجأ كثير من الناس إلى بغداد هاربين أو مستنجدين ببهاء الدولة (حسن، ١٩٧٠: ٨)، الذي كان مغرقاً في جبروته فالعراق كانت تعيش فساداً ولذلك كان الرضي يتجه في كثير من الأحيان تجاه الآخر البويهي اتجاهاً سياسياً يتفجر قلبه غيظاً على سالبي حقوق شعبه، ويدعوهم دوماً للثورة على الواقع حيث يقول:

وَأينَ قَومٌ كَقَومِي إن سَألتَهُمُ سَوَابِقَ الخَيلِ في يَومِ الوَغى نَزَلُوا
كَالصَّخرِ إن حَلُمُوا وَالنَّارِ إن غَضِبُوا وَالأُسدِ إن رَكِبُوا وَالوَبلِ إن بَذَلُوا
(الشريف الرضي، ١٩٩٥: ٢/١٦٣)

٩-٤. الأسباب الدينية

٩-٤-١. الحط من شأن الخليفة الطائع من قبل بهاء الدولة، ومصادرة حجره وخزانته وخدمه وحواشيه (حسن، ١٩٧٠: ٩)، ودافع الرضي عنه بوصفه زعيماً دينياً عربياً ورفع شأنه بقوله:

لِلّهِ ثَمَّ لَــكَ المحَـلُّ الأعظَــمُ وَإليكَ يَنتَسِبُ العَــلاءُ الأقدَمُ
وَلَكَ التُّراثُ مِنَ النَّبيِّ مُحمَّـدٍ وَالبيتُ وَالحَجرُ العَظيــمُ وَزَمزَمُ
(الشريف الرضي، ١٩٩٥: ٣٠٢/٢)

٩-٤-٢. الصراعات الدينية بين الشيعة والسنة التي كان يثيرها البويهيون لإضعاف المجتمع البغدادي وتشتيته، واشتدّ ذلك في زمن بهاء الدولة، وقامت الفتن ونشبت المعارك الدموية بين الفريقين، فيعمّ الاضطراب وتسود الفوضى وتنتشر اللصوصية وتهدّم دور وتدمر الأحياء (الكيلاني، ١٩٣٧: ٢٣)، والرضي تأثّر بها، ومدح والده حين كان مؤثراً في إطفاء الفتنة الكبرى في بغداد بين الشيعة والسنة عام٣٨٠هـ (زكي، ١٩٨٦: ١٢٥)، بقوله:

وَأقشَعتَ عَن بَغــدَادَ يَومــاً دَوِيُّهُ إلى الآنَ بَــاقٍ في الصَّبَــا والجنائِبِ
وَلَــولاكَ عُلِّيَ بِالجمــاجِمِ سُورُهَا وَخُنــدِقَ فِيهــا بِالدِّمَــاءِ الــذَّوائِبِ
(الشريف الرضي، ١٩٩٥: ٩٠/١)

ولعل مما ساعد على تقديم رؤية متحيزة للأنا عند الرضي اهتمامه بالفخر، ورصد حالة طارئة على مجتمعه فيرى الآخر البويهي نقيضاً لهويته العربية، وبذلك كثيراً ما يوظّف مضامينه من أجل تجسيد صورة أكثر تحيّزاً للأنا وأشدّ سخطاً على الآخر.

١٠. النتيجة

توصلنا إلى نتائج في هذه الدراسة؛ أهمها هي:

– إتصل الرضي بالآخر البويهي مباشراً ومع أنه أكثر من الإنشاد في المدح والتهنئة له، ولكن أدانه كثيراً ما خفياً خوف البغي، وقد تبلور ذلك في صور عديدة نحو اتخاذ الاتجاه الثوري داعياً للمقاومة، والفخر بالعرب وأرومتهم، ونهي العنصر البويهي الذي كان يسوده منطق القوة والقهر والغدر، وكل المفاسد التي كانت تهوي المجتمع العربي في الحضيض في ذلك العصر.

– إنّ الممارسات البشعة التي كان يلجأ إليها بهاء الدولة من الإهانة والقتل والعدوان والإذلال قد أثارت في الرضي سخطاً عليه، ولذلك يظهر التحدي وإيديولوجيا الصمود في شعره تجاهه بالمناسبات المختلفة.

– لم تتمّ معرفة الرضي بالأنا إلا في غمرة الإحساس العميق بعاطفة الألم والأسف، فأصبحت قضية العروبة عنده قضية سياسية واجتماعية معاً وأدخل الحس الوطني في شعره مصحوباً بالفخر.

– إنّ الرضي صوّر الأنا في صورة توجد وراءها رغبة عارمة في الإصلاح والتغيير نحو الأفضل.

– مع أنّ الرضي كان متعصباً لقومه وأرومته ما وقع في تشاؤمية مفرطة بالنسبة إلى الآخر البويهي وما صوّره في صورة مشوهة سلبية أبداً بل صوّره في صورة إيجابية أو صورة تقرب من حقيقته الواردة في المصادر التاريخية.

– إنّ الأسباب المؤثّرة في تكوين صورة بهاء الدولة متعددة الوجوه لدى الرضي كالذاتية والاجتماعية والسياسية والدينية، ولا يمكن تحديدها إلا برؤية متكاملة، نظراً لتعدد مقاصده، وتنوع انشغالاته الفكرية والسياسية والإيديولوجية.

المصادر

ابن أثير، عزالدين، (١٩٦٥)، *الكامل في التاريخ*، الجزء السابع والتاسع عشر، بيروت: دار صادر.

ابن تغري، جمال‌الدين، (١٩٩٢)، *النجوم الزاهرة*، الجزء الرابع، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن خلدون، محمد، (١٩٨٨)، *تاريخ ابن خلدون*، الجزء الثالث، الطبعة الثانية، بيروت: دار الفكر.

الأسمري، عبدالله بن محمد، (٢٠١٤)، *الأنا والآخر في شعر محمد الفهد العيسى*، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي والنقد العربي، ماليزيا: جامعة المدينة العالمية.

الأطقش، إسماعيل مسلم، (٢٠١٢)، «صورة مدينة يافا في نماذج من الشعر العربي»، دمشق: *جامعة دمشق*، المجلد ٢٨، العدد ٣و٤، صص ١١٧-١٤٧.

افضلی، زهرا، (١٣٩۴)، «تصویرشناسی ادیبان ایران از نگاه ادیبان عرب (مطالعه مورد پژوهش: صاحب بن عباد از نگاه ابن نباته سعدی و شریف رضی)»، *کاوش‌نامهٔ ادبیات تطبیقی*، ش ١٨، صص ٢٧-۵٢.

افضلی، زهرا، (١٣٩۵)، «تصویر دیگریِ ایرانی در شعر عربی (نمونهٔ موردی: تصویر امرای طاهری در شعر بحتری)»، همایش ملی میراث مشترک زبان، ادبیات و فرهنگ فارسی و عربی در حوزهٔ خلیج فارس.

أمين، أحمد، (٢٠١٥)، *ظهر الإسلام*، الجزء الثاني، القاهرة: شركة نوابغ الفكر.

الأميني، محمدهادي، (١٩٨۴)، *مقدمة خصائص الأئمة عليهم السلام للشريف الرضي*، مشهد: مجمع البحوث الإسلامية الآستانة الرضوية المقدسة.

برقعی، علی‌اکبر، (١٣١٨)، *کاخ دلاویز یا تاریخ شریف رضی*، قم: بی نا.

بن نبي، مالك، (١٩٨۶)، *ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الإجتماعية*، الطبعة الثالثة، ترجمة: ع. شاهين، دمشق: دار الفكر.

جويار، ماريوس فرانسوا، (١٩۵۶)، *الأدب المقارن*، ترجمة: م. غلاب، القاهرة: لجنة البيان العربي.

حسن، علي إبراهيم، (د.ت)، *التاريخ الإسلامي العام*، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

حسن، محمد عبدالغني، (١٩٧٠)، *الشريف الرضي*، القاهرة: دار المعارف.

حمود، ماجدة، (٢٠٠٠)، *مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن*، دمشق: إتحاد الكتاب العرب.

الخصري، محمد، (١٩٨٦)، *تاريخ الأمم الإسلامية؛ الدولة العباسية*، بيروت: دار القلم.
الخنيزي، علي، (٢٠١٣)، *لمحات من وراء القرون في ظلال الشريف الرضي*، بيروت: دار المحجة البيضاء.
رجب، محمود، (١٩٩٤)، *فلسفة المرآة*، القاهرة: دار المعارف.
الزركلي، خيرالدين، (١٩٨٩)، *الأعلام*، الجزء الأول ،الطبعة الثامنة، بيروت: دار العلم للملايين.
زكي مبارك، محمد، (١٩٨٦)، *عبقرية الشريف الرضي*، بيروت: دار الجيل.
الزهيري، محمود غناوي، (١٩٤٩)، *الأدب في ظل آل بويه*، القاهرة.
السليماني، أحمد ياسين، (٢٠٠٩)، *التجليات الفنية لعلاقة الأنا والآخر في الشعر العربي المعاصر*، دمشق: دار الزمان.
السيدجاسم، عزيز، (١٩٨٥)، *الإغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي*، بيروت: دار الأندلس.
الشريف، محمد، (١٩٩٥)، *ديوان الشريف الرضي*، الجزآن، بيروت: دار الجيل.
الطقوش، محمد سهيل، (٢٠٠٩)، *تاريخ الدولة العباسية*، الطبعة السابعة، بيروت: دار النفائس.
عبود، عبده (١٩٩٨)، *الأدب المقارن: مدخل نظري ودراسات تطبيقية*، دمشق: منشورات جامعة البعث.
عزام، خالد، (٢٠٠٩)، *العصر العباسي*، الأردن: دار أسامة.
عيسى، فوزى، (٢٠١٠)، *صورة الآخر في الشعر العربي*، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
فرويد، سيجموند، (١٩٨٢)، *الأنا والهو، الطبعة الرابعة*، ترجمة م. ع. نجاتي، بيروت: دار الشروق.
فقيهى، علىأصغر، (١٣۶۶)، *آل بويه و اوضاع زمان ايشان با نمودارى از زندگى مردم آن عصر*، چاپ سوم، تهران: انتشارات صبا.
كاظم، نادر، (٢٠٠٤)، *تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط*، بيروت: الموسسة العربية للدراسات والنشر.
كوئن، بروس، (١٣٩٢)، *درآمدى بر جامعه‌شناسى*، چاپ سى ام، ترجمۀ م. ثلاثى، تهران: توتيا.
الكيلاني، محمد سيد، (١٩٣٧)، *الشريف الرضي*، القاهرة: مطبعة الأهرام.
محمدغانم، رولا خالد، (٢٠١٠)، «الآخر في شعر المتنبي»، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف: عبدالخالق عيسى، نابلس: جامعة النجاح الوطنية.
مسكويه، أبوعلي، (١٣٧٩)، *تجارب الأمم*، الجزء السادس، الطبعة الثانية، طهران: سروش.
المقدسي، أحمد، (١٩٩١)، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، الطبعة الثالثة، القاهرة: مكتبة مدبولي.
نامور مطلق، بهمن، (١٣٨٨)، «درآمدى بر تصويرشناسى معرفى يک روش نقد ادبى و هنرى در ادبيات تطبيقى»، *مطالعات ادبيات تطبيقى*، دانشگاه آزاد جيرفت، ش ١٢، صص ١١٩-١٣٨.
نانكت، لاتيشيا، (١٣٩٠)، «تصويرشناسى به‌منزله خوانش متون نثر معاصر فرانسه و فارسى»، ترجمه م. دقيقى، *ادبيات تطبيقى*، فرهنگستان زبان و ادبيات فارسى، ش ١، صص ١٠٠-١١٥
Brunel, P (1989).*Yves Chevrel*. Précis de La litérature compare. Paris. P.U.F.
Pageaux, D (1994). *La littérature générale et compare*. Paris. Armand Colin.

Refrences:

Abboud, A (1998). *Comparative Literature: Theoretical and Applied Studies*. Damascus: Al-Baath University Publications. [In Arabic].

Afzali, Z (2015). The Image of Iranian Literature from the Point of View of the Arabian Literature (Case Study: Sahib ibn Ebad from the View of Ibn al-Nabata Sa'di and Sharif Radi). No. 18. Pp. 27-52. Kermanshah: Explore the Letter of Comparative Literature. [In Persian].

Afzali, Z (2016). Another Iranian Image in Arabic Poetry (Case Study: The Image of Taheri Sultans in the Poetry of Bahrey). National Conference on the Common Heritage of Persian Language. Persian Literature and Culture in the Persian Gulf. [In Persian].

Al-Amini, M.H (1984). *Introduction to the Characteristics of the Imams for Al-Sharif Al-Radi*. Mashhad: Islamic Research Complex. Holy Radavi Astana. [In Arabic].

Alasmari, A.B.M (2014). *The Ego and the Other in the Poetry of Mohammed Al-Fahd al-Issa, Master's Note in Arabic Literature and Arabic Criticism*. Malaysia: University of the World City. [In Arabic].

Alatghash, E. M (2012). The image of the City of Jaffa in Models of Arabic Poetry. Vol. 28. No. 3 and 4. Pp. 117-147 . Damascus: Journal of Damascus University. [In Arabic].

Al-Kaylani, M.S (1937). *Al-Sharif Al-Radi*. Cairo: Al-Ahram Press. [In Arabic].

Al-Khasri, M (1986). *History of Islamic Nations; Abbasid State*. Beirut: Al-Qalam Library. [In Arabic].

Al-Moqddasi, A (1991). *the Best Comparison in Knowledge of Regions*. 3rd ed. Cairo: Madbouli Library. [In Arabic].

Al-Sharif, M (1995). *Diwan Al-Sharif Al-Razi*. 2 components. Beirut: Dar Al-Jale Library. [In Arabic].

Al-Sid Gasem, A (1985). *Alienation in the Life and Poetry of Sharif Al-Radi*. Beirut: Al-Andalus Library. [In Arabic].

Al-taghghoosh, M.S (2009). *the History of the Abbasid State.*7th edition. Beirut: Dar al-Nafayes Library. [In Arabic].

Al-Zahiri, M. gh (1949). *the Literature in the Shadow of Al-Boyah*. Cairo. [In Arabic].

Al-zarquli, Kh (1989). *ala'lam*. 8th Ed. Beirut: al-'Alm for Millions Library. [In Arabic].

Amin, A (2015). *the Rise of Islam*. vol.2. 1st Ed. Cairo: Thought Mobilization Company. [In Arabic].

Azzam, Kh (2009). *Abbasid Era*. Jordan: Dar Osama Library. [In Arabic].

Ben Nabi, M (1986). *the Birth of a Community. the Network of Social Relations*. 3th ed. Translation: Shahin. Damascus: Al-Fikr Library. [In Arabic].

Borgheye, A (1939). *Delaouise Palace or Sharif Radi's History*. 1st Ed. Qom. [In Persian].

Cohen, B (2013). *An Introduction to Sociology*. Translation: M. Thalassy. Thirtieth Edition. Tehran: Tooteya. [In Persian].

Faghihi, A (1987). *Al-Bouyah and his Time with a Graph of the Lives of the People of that Era*, 3rd Ed.Tehran: Saba Publishers. [In Persian].

Freud, S (1982). *The Ego and the Id*. Translation: M. Najati. 4th edition. Beirut: Al Shorouk Library. [In Arabic].

Guillard, M. F (1956). *Comparative Literature*. Translation: Ghalab. Cairo: the Arab Statement Committee. [In Arabic].

Hammoud, M (2000). *Applied Approaches in Comparative Literature*. Damascus: Arab Book Union. [In Arabic].

Hassan, A. I (N.D). *General Islamic History*. Cairo: The Egyptian Renaissance Library. [In Arabic].

Hassan, M. A (1970). *El-Sharif El-Radi*. Cairo: El-Maaref Library. [In Arabic].

Ibn Asir, E (1965). *The Complete of History*, Vol. 7 and 19. Beirut: Sader Library. [In Arabic].

Ibn Khaldoon, M (1988). *Tarikh Ibn Khaldun*. Vol. 3. second ed. Beirut: Al-Fikr Library. [In Arabic].

Ibn Taghari, J. A (1992). *The Bright Stars*. Vol. 4. 1st Ed. Beirut: Scientific Library. [In Arabic].

Issa, F (2010). *the Image of the Other in Arabic Poetry*. Al-exandria: Al-Marafah University Library. [In Arabic].

Kadhim, N (2004). *Representations of the Other The picture of the Blacks in the Imagination of Middle Arabic*. Beirut: Arab Institute for Studies and Publications. [In Arabic].

Khoneizi, A (2013). *Glimpses of the Centuries in the Shadows of the El-Sharif El-Radi*. Beirut: Al-Mahja al-Baida Library. [In Arabic].

Mohammed Ghanem, R. Kh (2010). *the Other in the Poetry of Al-Mutanabbi.* Memorandum for the Master's Degree in Arabic Language and Literature. Nablus: Al-Najah National University. [In Arabic].

Muskawayh, A (2000). *Experiences of the Nations*. vol. 6. 2th edition. Tehran: Soroush Publication. [In Persian].

Namvar Mothagh, B (2009). An Introduction to the Phenomenology of Introducing a Literary and Artistic Criticism in Comparative Literature. No. 12. Pp. -138-119. Jiroft: Journal of Comparative Literature Studies. Azad University. [In Persian].

Nanaket, L (2011). An imagology As a Reading of the Texts of Contemporary French and Persian. Translation: M. Daghighi. No. 1. Pp. 100-115. Tehran: Comparative Literature Magazine of the Persian Language and Literature Academy. [In Persian].

Ragab, M (1994). *the Philosophy of the Mirror*. Cairo: Al Ma'arif Library. [In Arabic].

Sulaymani, A.Y (2009). *Artistic Representations of the Relationship between the Ego and the Other in Contemporary Arab Poetry*. Damascus: Al-Zaman Library. [In Arabic].

Zaki Mubarak, M (1986). *the Geniality of Al-Sharif Al-Radi*. Beirut: Al-Jale Library. [In Arabic].